مدّعو النبوة في بلاد المغرب

في الفترة من (القرن الثاني إلى الخامس الهجري/ الثامن إلى الحادي عشر الميلادي)

شاهندة سعيد محمود منصور

المدرس بقسم التاريخ و الآثار المصرية و الإسلامية

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

الملخص باللغة العربية

تعد ظاهرة ادعاء النبوة من أخطر الظواهر ذات الأثر الدينى والاجتماعى والسياسى على السواء. ففى مقابل كل نبى أو رسول يوحى إليه يوجد المئات من الكذابين والدجالين و المدعين. و لكن القليل منهم من حقق امتدادًا حضاريًا أو جغرافيًا مهمًا. و على الرغم من وجود هذه الظاهرة فى العديد من البلدان فإنها فى بلاد المغرب كان لها طابع خاص اختلفت به عن غيرها من الأقطار كونها معروفة بالاهتمام بأعمال السحر و الشعوذة و الإيمان بالغيبيات؛ و لذلك كانت بيئة خصبة لظهور مثل هذه الدعوات مستغلين فترة الفراغ السياسى التى كانت تعانى منها تلك المناطق البعيدة عن سيطرة الخلافة مما كان عاملاً مؤثرًا فى ظهورهم و انتشار أفكارهم.أضف إلى ذلك أن بعض المناطق لم يكن أهلها يعرفون من الإسلام الكثير، الأمر الذى استغله هؤلاء المدعون فى تضليل عقولهم.

Abstract

Is the phenomenon of prophecy of the most serious allegation impact phenomena religious, social and political alike. For every prophet or messenger is revealed to him there are hundreds of liars and charlatans and prosecutors. But few of them achieved an extension culturally or geographically important. In spite of the existence of this phenomenon in many countries they are in the Maghreb have had a special character differed by from other countries as well-known interest in the work of witchcraft and sorcery and faith; and so it was a fertile environment for the emergence of such calls by taking advantage of the political vacuum that were dogging those areas remote from the control of the Caliphate, which was a factor in their backs and spread their ideas. Add to that some areas people did not know of Islam a lot , which is exploited by those plaintiffs mislead their minds .

المقـــــدمـــــة

أكد الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم أن نبى الله محمد(ص) هو آخر الأنبياء والمرسلين ليس بعده نبى وذلك فى قوله تعالى ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين﴾[1] وهو ما أكده النبى فى حديثه النبوي قائلاً ﴿مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، فَأَكْمَلَهَا وَحَسَّنَهَا، وَبَقِيَتْ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا مَوْضِعُ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِبُنْيَانِهِ ، يَتَعَجَّبُونَ ، وَيَقُولُونَ : فَهَلا وَضَعَ هَا هُنَا لَبِنَةً فَأَكْمَلَ بِهَا بِنَاءَهُ ؟ فَأَنَا ذَلِكَ ، أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لا نَبِيَّ بَعْدِي﴾ [2] .

فلم يبق من النبوة إلا المبشرات؛ قالوا و ما المبشرات يا رسول الله ؟ قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له[3].

وعلى الرغم من صراحة هذه النصوص فإن ذلك لم يمنع ظهور أناس ادعوا نزول الوحي عليهم وادعـــوا النبوة، حتى خلال حياة الرسول نفسه وبعد وفاته مباشرة ظهر أدعياء نبوة في العديد من مناطق شبه الجزيرة العربية في محاولة منهم لاستغلال الفرصة ومن أشهرهم الأسود العنسي[4]،

---

(١) سورة الأحزاب، آية رقم ٤٠.

(٢) صحيح مسلم، رقم٢٢٨٦.

(٣) ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق على عبد الواحد وافى، الطبعة الثانيـــة، لجنة البيان العربى، ١٩٦٥، الجزء الأول، ص٥٢٣

(٤) الأسود العنسى هو عبهلة بن كعب و لقبه ذو الخمار، كان كاهنًا و مشعوذًا يفعل الأعاجيب و يخلب بحلاوة منطقه، ادعى النبوة فغلب على ما بين صنعاء و حضر موت إلى أعمال الطائف إلى البحرين من قبل عدن فعامله المسلمون بالتقية وارتد كثير من أهل اليمن. قتل على يد فيروز الديلمى. لمزيد من التفاصيل ارجع إلى ابن كثير (عماد الدين أبى الفـــداء إسماعيل بن عمر القرشى الدمشقى)، البداية و النهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركى بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية، الطبعة الأولى، دار هجر، القاهرة، ١٩٩٨، الجزء التاسع، ص٤٢٩– ٤٣٦.

وطليحة ابن خويلد[١] و مسيلمة الكذاب[٢] وغيرهم[٣]. و لقد أخبرنا رسول الله (ص) بظهور متنبئين في حديث نبوي يقول: "لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً، كلهم يدعون النبوة".

و لقد وقع اختياري على هذا البحث الذي يتناول دراسة مدعى النبوة فى بلاد المغرب خلال الفترة ما بين القرنين الثاني إلى الخامس الهجري؛ فمن المعروف أن بلاد المغرب كان لها مكانة خاصة فى الكهانة وأعمال السحر وهي من الصفات المعروفة عنهم

---

(١) طليحة بن خويلد ارتد فى حياة الرسول(ص) و كان كاهنًا ادعى النبوة نزل بسميراء، فبعث الرسول(ص) ضرار بن الأزور إلى قتاله مع جماعة، فاجتمع عليهم المسلمون، فلما أتى الخبر= =بموت النبي (ص) استطار أمر طليحة و اجتمعت إليه عطفان و هوازن و طيئ. لمزيد من التفاصيل ارجع إلى ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٢م، الجزء الثاني، ص٤٩٦.

(٢) مسيلمة الكذاب ادعى النبوة تزوج من سجاج بنت الحارث بن سويد بن عقفان و كانت من نصارى العرب ادعت هى الأخرى النبوة. و قد بعث أبو بكر الصديق خالد بن الوليد إلى اليمامة لقتاله فى أواخر عام ١٠هـ/ ٦٣١م بعد هزيمة عكرمة بن أبي جهل أمامه فالتقى الجمعان و دام الحصار أيامًا فى الواحات المسورة و قتل منهم عدد كبير حتى سميت الواحة بحديقة الموت. قتل مسيلمة على يد وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب كما استشهد فيها عدد من الصحابة و كان لمسيلمة يوم قُتل مائة و خمسون سنة. ابن كثير، البداية و النهاية، ج٩، ٤٦٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٢، ص٥٠١؛ السيوطى(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨، ص٨٩؛ نبيلة حسن محمد، فى تاريخ الدولة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص١٠١.

(٣) لمزيد من التفاصيل راجع ابن هشام المعافرى(أبو محمد عبد الملك)، السيرة النبوية، المكتبة القيمة، القاهرة، الجزء الرابع، ص١٤٦-١٤٧. لقد عرفت شبه الجزيرة العربية حتى قبل ظهور سيدنا محمد(ص) فى مكة مجموعة من الأحناف الذين عفت نفسهم عن عبادة الأصنام و سمت إلى وحدانية الله فهيئت العقول و القلوب لتقبل الدين الجديد و منهم كعب بن لؤى بن غالب و أمية بن الصلت و قس بن ساعدة الإيادى و غيرهم. انظر السيد عبد العزيز سالم، دراسات فى تاريخ العرب. تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص٤٣٥ و ما بعدها.

حتى وقتنا الحاضر و كان لتقديس البشر و الكهانة و السحر مكانة هامة فى هذه البيئة، و قد جعلها ابن خلدون أمرًا جليًا فيهم فيقول:" و أما وقوع الخوارق فيهم و ظهور الكاملين فى النوع الإنساني من أشخاصهم فقد كان فيهم من الأولياء المحدثين أهل النفوس القدسية و العلوم الموهوبة، و من حملة العلم عن التابعين و من بعدهم من الأئمة و الكهان المفطورين على المطلع للأسرار الغيبية[1].

و لأن مدعى النبوة ليس شخصًا عاديًا مثل بقية البشر بل شخص تحيط به هالة يصنعها بنفسه أو المحيطين به عبر امتلاك خصائص تتجاوز ما تعارف عليه الناس وتتمثل فى الكهانة والتنجيم و السحر، وما إن يمتلك شخص هذه الخصائص حتى يحيط نفسه بقدسية تؤلف بينه و بين من حوله علاقات قائمة على الطاعة و الولاء. و فى ذلك يقول البكرى: " وكان ببعض جبال مجكسة رجل من السحرة المهرة يعرف بأبى كيسة، و كان أهل موضعه يسمعون منه و لا يعصونه طرفة عين، وإذا عصاه أحد و خالفه حول كساه الذى يلتحف فيه فتصيب هذا الرجل عاهة لحينه أو جائحة، وإن كانوا جماعة أصابهم مثل ذلك، ويخيل إليهم كأن برقة تلوح من تحت كسائه، ولبنيه وعقبه حتى الآن ميزة فى تلك الناحية ومنزلة وحظوة على من سواهم"[2]. فمن المعروف حتى الآن دور الكهان و السحرة والعرافين فى لجوء الجهلة إليهم طلبًا للاستشفاء وسعة الرزق وحل المشكلات المختلفة التى يعجزون عن وجود حل لها؛ ولذلك فمن المعروف أن الذين حكموا برغواطة قد أخذوا السحر والكهانة ثم ادعوا النبوة.

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص٥٢٧.

(٢) البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز القرطبي)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب و هو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، ص١٠١.

ولقد ذكر ابن الخطيب أن صالح قد اشتغل بالسحر فمهر فيه[1] عند رحلته لبلاد المشرق، كذلك ذكر ابن حوقل أنه " درس شيئًا من النجوم وصلحت منزلته في علمها إلى أن قوم الكواكب، وعمل التقاويم والمواليد وأصاب في أكثر أحكامه..... ووعدهم غير كسوف فوجدوه وأنذرهم غير شيء فأدركوه وأصابوه على حكايته" فأفسد عقولهم وبدل معارفهم وافترض عليهم طاعته[2]بما أظهره من الإسلام والزهد والورع واستهواهم بالحيل والسحر[3].

كما كان حاميم المفترى ينتسب إلى أسرة ذات باع فى الكهانة و السحر؛ فقد كانت كل من عمته وأخته معروفتين بالسحر والكهانة فكان الناس يستغيثون بأخته فى كل حرب وضيق ويزعمون أنهم يجدون نفعها، ويقول ابن خلدون" وما زالوا أهل غمارة ينتحلون السحر لهذا العهد، وأخبرنى المشيخة من أهل المغرب أن أكثر منتحلى السحر منهم النساء العواتق، ولهن قوة على استجلا روحانية ما يشاءونه من الكواكب فإذا استولوا عليه وتكيفوا بتلك الروحانية تصرفوا منها في الأكوان بما شاءوا"[4].

وعلى الرغم من أهمية الموضوع فإن ندرة المعلومات النابعة من محاولات التهميش تجعل من الصعوبة تناول الموضوع بالتحليل؛ نظرًا لعزوف المؤرخين عن ذكر هؤلاء المدعين في محاولة منهم لإخفائهم و محو تاريخهم، خاصة أن هؤلاء المدعين كان ينظر إليهم على أنهم أناس مجانين أو طالبو سلطة، وفى ذلك يقول ابن خلدون " وأكثر المنتحلين لمثل

---

(١) ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق أحمد مختار العبادى، محمد إبراهيم الكتانى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م، الجزء الثالث، ص١٨٢.

(٢) ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي)، صورة الأرض، الطبعة الثانية، دار صادر، ليدن، ١٩٣٨م، ص٨٢.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٨٢.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٢٨.

هذا تجدهم موسوسين أو مجانين أو ملبسين يطلبون بمثل هذه الدعوة رياسة امتلأت بها جوانحهم و عجزوا عن التوصل إليها بشيء من أسبابها العادية، فيحسبون أن هذا من الأسباب البالغة بهم إلى ما يؤملونه من ذلك، ولا يحسبون ما يناهم فيه من الهلكة، فيسرع إليهم القتل بما يحدثونه من الفتنة، و تسوء عاقبة مكرهم"[١].

ومن هنا يمكننا القول إن حركات التنبؤ هذه تعتبر نقطة وسط بين الدين الاجتماعى والدين السياسى.

وأخيرًا بقيت الإشارة إلى قول ابن خلدون بأن النبى يجب أن يكون مدعومًا دعمًا قبليًا فلابد من توافر السلطة والنفوذ والعدد[٢]، فكل من تعرض لتجربة النبوة لابد من توافر هذه العناصر لديه مثل عاصم بن جميل كبير ورفجومة وصالح بن طريف كبير برغواطة.

وسوف أعرض لهؤلاء المدعين للنبوة وفق الترتيب الزمنى التصاعدى؛ فأول من ادعى النبوة ببلاد المغرب وأشهرهم على الإطلاق هو صالح بن طريف واضع ديانة برغواطة والذى تراوح ظهور دعوته ما بين عامى ١٢٥هـ/ ٧٤٢م [٣] و ١٢٧هـ/ ٧٤٤م[٤].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص٤٧١، ٤٧٢.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق، ج٢، ص٤٦٨.

(٣) ابن أبي زرع (أبو الحسن على بن عبد الله الفاسى)، الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢، ص١٣٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٨٢.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٧٦؛ السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصر– محمد الناصر، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤، ج١، ص١٠٣.

متنبئو برغواطة:

اقترن ظهور البرغواطيين بثورة ميسرة المطغرى[1] فى عام ١٢٢هـ/ ٧٣٩؛ حيث نمت هذه الدولة الناشئة و تزامنت مع العديد من الدول التى قامت فى المغرب الأقصى، حتى نجح المرابطون فى القضاء عليهم.

أصل برغواطة:

---

(١) ميسرة المطغرى نسبة إلى قبيلة مطغرة، و كان ميسرة هذا شيخًا فى قبيلته و عالمًا مستنيرًا .

Abun-Nasr, Jamil M.,A History of the Maghrib, Second Edition, Cambridge University Press ,p.73 .

و إن كانت المصادر العربية تلقبه بالحقير. ابن عذارى، البيان، ج١، ص٥٢. أو الخفير. السلاوى، الاستقصا، ج١، ص٩٧. أو الفقير. ابن عبد الحكم(أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشى المصرى)، فتوح إفريقية و الأندلس، تحقيق محمد صبيح، القاهرة، ١٩٧٤، ص١٤٢؛ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة= =الخامسة، دار الرشاد، القاهرة، ٢٠٠١م. لأنه كان سقاء يبيع الماء فى سوق القيروان. و لكن يبدو أن المصادر ذكرت ذلك رغبة فى التحقير من شأنه، أو ربما لأن اشتغاله بالسقاية كان للتمويه على نشاطه حينما كان يدرس أصول المذهب الصفرى على يد عركة مولى ابن عباس فى القيروان؛ و ذلك حتى لا يثير الشكوك حول شخصيته.ابن القوطية القرطبى(أبو بكر محمد ابن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مراجعة عمر فاروق الطباع، الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف، بيروت– لبنان، ١٩٩٤، ص٤٠؛ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام فى الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣، ج١، ١١٩؛ محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع، الطبعة الثانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦، ص٦٢.

وأيًا كان الأمر، فقد أخذ ميسرة بدعوة الصفرية فى المغرب الأقصى بين قومه من بنى مطغرة و هى بطن من بنى فاتن بن تامصيت بن ضرى بن زجيك بن مادغيس الأبتر، و قد انضم إليه كل من بربر مكناسة كما انضمت إليه كل من برغواطة و الأفارقة بقيادة عبد الأعلى بن جريج الإفريقى.

ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٣٠، ٢٠٧؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ٩٧.

E.F. Gautier, Le Passé de L'Afrique du nord, Paris,1987,p.231; E. Lévi Provençal, Histoire de l'Espagne Musulmane – La Conquête et l'Emirat Hispano- Umaiyade(710- 912), Tome Premier, Paris, Leiden, 1950,p.41.

ترجع برغواطة إلى قبيلة مصمودة[1]. و قد أقامت برغواطة فى بداية ظهورها بإقليم تامسنا[2]؛ و كانت برغواطة قبل الفتح الإسلامى للمغرب تحت سيطرة يليان حاكم سبتة[3]. وكان أول ظهور لقبائل برغواطة فى إحدى مسيرات عقبة بن نافع، و التى وصل

(١) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٤٥؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص٥٨. و تؤيده فى ذلك سحر سالم فى كتابها " من جديد حول برغواطة". و ذلك استنادًا على رواية ابن خلدون الجديرة بالثقة، بالإضافة إلى أن عصبية برغواطة زادت أيام الموحدين المصامدة، سحر السيد عبد العزيز سالم، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب فى العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص٥. و عن اختلاف الآراء حول أصل برغواطة؛ ارجع إلى كل من : ابن عذارى المراكشى(أبو العباس أحمد بن محمد)، البيان المغرب فى أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق و مراجعة ج. س. كولان و إ. ليفى بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت– لبنان، ١٩٨٣، ج١، ص٢٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٨٠–١٨١. انظر كذلك مجهول. و الذى أرجع أصل برغواطة إلى زناتة. مجهول، نبذة تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، تحقيق إ. ليفى بروفنسال، الرباط، ١٩٣٤، ص٤٧.

(٢) إقليم تامسنا. كلمة بربرية بلهجة زناتية و معناها البسيط الخالى و قد أطلقت على البسيط الممتد غرباً على ساحل المحيط الأطلسى من مدينة الرباط (عاصمة المغرب الحالية)= =إلى الدار البيضاء و يسمى الأن بالشاوية و تكسوه الزروع و العمارات و لكنه بالأمس البعيد كان أرضًا من سدرة و عليق ترعى فيها الأغنام و قد سمى أحد أبواب مدينة الرباط بهذا الاسم (باب تامسنا) و هو الذى يمتد منه الطريق غرباً إلى مدينة الدار البيضاء، و قد هدم أخيرًا. لاوست، لغويات، مجلة المغرب، عدد سبتمبر– أكتوبر١٩٣٦، السنة الخامسة؛ ليون الإفريقى(الحسن بن محمد الوزان الفاسى)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجى– محمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامى، بيروت لبنان، ١٩٨٣، ص١٩٩.انظر كذلك أبى الفداء (عماد الدين إسماعيل)، المختصر فى أخبار البشر، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية، ج١، ص٩٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٤٥؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٠٢؛ رجب محمد عبد الحليم، بنى صالح فى تامسنا بالمغرب الأقصى، القاهرة، ١٩٦١، ص٢٩؛ ألفرد بل، الفرق الإسلامية فى الشمال الإفريقى من الفتح العربى حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوى، الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامى، بيروت– لبنان، ١٩٨٧، ص١٧٣؛ سحر سالم، من جديد حول برغواطة، ص٥؛

M. Talbi, The Independence OF the Maghrib, General History OF Africa, Vol 3, unesco,1988, p. 250..

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٥٠؛ سحر سالم، من جديد حول برغواطة، ص٥.

فيها إلى بلاد تامسنا بالسوس الأدنى[1]، ولم يرد ذكر برغواطة مرة أخرى إلى أن نجح موسى بن نصير فى عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م فى فتح بلاد درعة القريبة من منازل برغواطة، وقد مر عليها و هو فى طريقه إلى طنجة.

إلا أن ظهور البرغواطيين على هذا النحو – والذى عرفوا به من الخروج عن الدولة الإسلامية سواء أكان هذا الخروج سياسيًا أم دينيًا – إنما كان يعاصر ثورة ميسرة المطغرى حيث إن بربر برغواطة كانوا من بين المنضمين لثورة ميسرة بزعامة طريف[2].

ويعد نسب طريف هذا (مؤسس الدولة البرغواطية) من أكثر المسائل تعقيدًا فى تاريخ المغرب؛ و لذلك حاول المؤرخون أن يقتربوا من حقيقته؛ فابن عذارى يروى أنه كان يهودى الأصل من ولد شمعون بن يعقوب بن إسحاق عليه السلام[3]. و إن كان هناك بعض الآراء التى تذهب إلى أن طريف هذا إنما هو نفسه طريف[4] قائد الحملة الاستطلاعية التى بعث بها موسى بن نصير لاستطلاع الأحوال فى الأندلس و التى سوف

---

(١) ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٧.

(٢) ابن عذارى، المصدر السابق،ج١، ص٢٤؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٠٢؛ ألفرد بل، الفرق الإسلامية ، ص١٧٣؛ جورج مارسيه، بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل– مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص١٤٦.

(٣) وهذا ما أعلنه زمور البرغواطى صاحب صلاتهم مبعوث ملكهم أبى عيسى بن أبى الأنصار إلى الخليفة الحكم المستنصر بقرطبة (٣٥٢/ ٩٦٣م) ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٣؛ انظر كذلك البكرى، المغرب، ص١٣٥.

(٤) هو طريف بن مالك المعافرى، عربى يمنى و إن ذكر ابن عذارى أنه بربرى. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٥. و يكنى أبا زرعة. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا، مدريد، ١٩٨٣، ج١، ص٩٨. خرج على رأس سرية مكونة من خمسمائة رجل منهم أربعمائة راجل و مائة من الفرسان، و عبروا بحر الزقاق من مدينة سبتة فى أربع سفن من أملاك يليان، و نزلوا فى جزيرة لاس بالومس، و ذلك فى رمضان ٩١هـ/ يوليو ٧١٠م.

ومن هذا الموضع شن طريف و رجاله سلسلة من الغارات على الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة الأيبيرية. ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية، ص٨٨.

يترتب عليها إما عبور المسلمين لفتح الأندلس أو تأجيل ذلك لعدم توافر الظروف المناسبة[١].

وعلى أية حال، فبمجرد مقتل ميسرة المطغرى، رجع طريف عن الانضمام لتلك الثورة، حيث خرج عن هذا التحالف اعتراضًا على مقتل صاحبه ميسرة، فخرج من طنجة متجهًا إلى إقليم تامسنا[٢].

ونرجح أن ميسرة كان قد ولاه على كل من زناتة و زواغة، و أنه قد أوصى به أهل تامسنا[٣]، حيث كتب كتابًا إليهم و إلى قومه من زناتة البربر يوصيهم به خيرًا و يصف فضله وعلمه[٤]؛ و لذلك قدمه البربر على أنفسهم وولى أمرهم[٥]، " فنظر إلى جهلهم؛ فقام فيهم، و دعا إلى نفسه. فبايعوه و قدموه على أنفسهم. فشرع لهم ما شرع" [٦] ولقد ساعده فى ذلك أن الخلافة – بعد نجاح الخلافة الأموية فى القضاء على تلك الثورة التى كان قوامها الخوارج الصفرية[٧] [١]، و التى كانت تثير قلق الخلافة المشرقية–

(١) لمزيد من التفاصيل انظر سحر سالم، من جديد حول برغواطة، ص١٨.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٧٦؛ ابن عذاري، البيان، ج ١، ص ٥٧؛ سحر سالم، من جديد حول برغواطة، ص ١٤؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي – تاريخ دولة الإغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، ١٩٧٩، ج ٢، ص ٤٣١.

(٣) انظر البكرى و الذى ذكر أن طريف احتل تامسنا و كان إذ ذاك ملكًا لزناتة و زواغة فقدمه البربر على أنفسهم. البكرى، المغرب، ص١٣٥؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٣.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٨١؛ سحر سالم، من جديد حول برغواطة، ص١٤.

(٥) البكرى، المغرب، ص١٣٥؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٣.

(٦) ابن عذارى، البيان، ج١، ص٥٧.

(٧) الصفرية هم أتباع زياد بن الأصفر؛ و لذلك تعرف أيضًا هذه الفرقة باسم الزيادية، و تعد الصفرية واحدة من كبار فرق الخوارج الست، الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم)، الملل و النحل، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٤٨، ص١٨٤.و هم أقل تطرفًا من الأزارقة، ألفرد بل، الفرق الإسلامية، ص١٤٥. حيث إنهم لا يبيحون دمـــاء =

المشرقية– لم تسترد سيطرتها السابقة على تلك المناطق، و أصبحت هذه السيطرة شبه اسمية. وبالطبع كانت تلك الفترة من أفضل الفترات لظهور الدول الخارجة عن سيطرة الخلافة.

ويذكر البكرى كيف أن هذه الديانة قد انتشرت فى بعض الأنحاء ودانت بها العديد من القبائل وهى جراوة وزواغة والبرانس وبنو أبى ناصر ومنجصة وبنو أبى نوح وبنو واغمر ومطغرة وبنو بورغ و بنو دمر ومطماطة وبنو وزكسينت ويبلغ عددهم أكثر من عشرة آلاف فارس(٢). هذا بالإضافة إلى من يدين لهم من المسلمين ويضاف إلى مملكتهم.

ولقد كانت تربة هذه المناطق مهيأة لتقبل مثل هذه الأفكار العقائدية الغريبة، فمن المعروف أن هذه المناطق كان بها معتنقون للمجوسية واليهودية والمسيحية بكثرة عن بقية أنحاء المغرب(٣)، و إذا أضفنا إلى ذلك كون مؤسس الأسرة كان يدين باليهودية ثم اعتنق الإسلام ثم صار خارجيًا صفريًا لأعطانا تفاصيل هذه الديانة.

صالح بن طريف:

=المسلمين، كذلك لا يعتبرون المخالفين لهم دار حرب، و أيضًا لا يجيزون سبي النساء و الذرية و لكنهم لا يقاتلون سوى معسكر السلطان. الشهرستانى، الملل و النحل، ص١٨٤؛ محمد أحمد أبو زهرة، المذاهب الإسلامية، المطبعة النموذجيـــة، القاهرة، ص١٢٤، ١٢٥. كما أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال، ابن عبد ربه (أحمد بن محمد)، العقد الفريد، تحقيق محمد قمبيحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٩٨٣، ج١، ص١٨٧؛ الشهرستانى، الملـــل و النحـــل، ص١٨٤. و أخذوا بمبدأ التقية. الشهرستانى، المصدر السابق، ص١٨٤؛ ألفرد بل، الفرق الإسلامية، ص١٤٧.

(١) البكري، المغرب، ص ١٤٠ – ١٤١.

(٢) سحر سالم، برغواطة، ص٢٣.

(٣) ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٤.

مما سبق يتضح لنا أن مؤسس هذه الدولة لم يكن خارجًا عن الدين الإسلامي ولم يدع النبوة كما قال ابن خلدون الذى اتهمه بذلك، في حين أن المصادر كلها تكاد تجمع على أن أول من ادعى النبوة من هذه الأسرة هو ابنه صالح الذي ولد عام ١١٠هـ/ ٧٢٩م [١]، ببلاد المغرب ثم رحل إلى بلاد العراق حيث درس شيئًا من النجوم و أصاب فى أكثر أحكامه ثم عاد إلى المغرب فدعا البربر إلى الإيمان[٢] ويصفه ابن خلدون بقوله "و كان من أهل العلم و الخير ثم انسلخ من آيات الله و انتحل دعوة النبوة و شرع لهم الديانة" فادعى نزول وحى عليه بقرآن جديد من الله سبحانه و تعالى و من شك فى ذلك فهو كافر[٣]، و لم يكتف بذلك بل ادعى أيضًا أنه صالح المؤمنين الذى ورد ذكره فى قرآن محمد[٤] " وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه، و جبريل و صالح المؤمنين و الملائكة بعد ذلك ظهير...." [٥] ومن سلسلة الادعاءات أيضًا أدعاؤه بأنه المهدى المنتظر الذى يخرج فى آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً .كما زعم أن اسمه فى العربية صالح و فى السريانية مالك و فى الأعجمية عالم و فى العبرانية روبيا و فى البربرية وربا و معناها الـذى ليس بعده نبى[٦].

وقد أخذ صالح فى وضع قرآن خاص به جعله فى ثمانين سورة، و كانت معظم أسماء السور على أسماء الأنبياء مثل سورة أيوب و هى أولى سور هـذا الكتاب وسورة

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨٢.

(٢) ابن عذارى، البيان، ج١، ص٥٧؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٣١؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٧٦؛ السلاوى، الاستقصا، ص١٠٣.

(٣) البكرى، المغرب، ص١٣٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٨٢.

(٤) ، (٥) سورة التحريم، آية رقم ٤.

(٦) البكرى، المغرب، ص١٣٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٧٧؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٠٣.

آدم، وسورة نوح، وسورة موسى، وسورة هارون، وسورة يونس وكثير من الأنبياء، لكنه أيضًا جعل بعضها على أسماء الحيوانات كسورة الديك، وسورة الجراد، وسورة الجمل، وسورة الحنش، وسورة الفيل، أضف إلى ذلك بعض سور قصص القرآن مثل سورة فرعون، وسورة قارون، وسورة هامان، وسورة طالوت، وسورة هاروت وماروت، وسورة يأجوج ومأجوج، وسورة نمرود، وسورة إبليس، وسورة بنى إسرائيل، وسورة الأسباط وسورة الحجل، وأخيرًا سورة غرايب الدنيا والتى هى من أهم سورهم لأنها اشتملت على شرائعه والتحريم و التحليل[١] وشرع القص[٢]، وفى ذلك يقول ابن حوقل " وعمل لهم كلامًا رتله بلغتهم وشرع فيه محابة على نحلتهم فهم يتدارسونه و يعظمونه و يصلون به"[٣].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن صالح اعتمد على عامل اللغة؛ فمن المعروف أن صالح كان بربرى الأصل مغربى المولد ضليعًا بلغة البربر و على دراية بالعديد من لهجاتهم و هو ما اعتمد عليه صالح مقنعًا أتباعه بأنه ما من نبى يبعث لقوم إلا بلغتهم محتجًا فى ذلك بقوله تعالى " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم"[٤]، و بالتالى فإن سيدنا محمد نبى حق عربى اللسان مبعوث إلى قومه[٥]. ولقد انفرد البكرى بذكر نموذج من قرآن صالح و و بالتحديد من سورة أيوب و هى استفتاح كتابهم و فيها:

---

(١) البكرى، المغرب، ص١٤٠؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٧؛ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٣١؛ السلاوى،الاستقصا، ج١، ص١٠٣.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٧٦.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨٢.

(٤) سورة إبراهيم، آية رقم٤.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨٢.

"بسم الله الذى أرسل الله به كتابه إلى الناس، هو الذى بين لهم به أخباره، قالوا علم إبليس القضية، أبى الله ليس يطيق إبليس كما يعلم الله، سل أى شيء يغلب الألسنة فى الأقولة ليس يغلب الألسن فى الأقولة إلا الله بقضائه باللسان الذى أرسل الله بالحق إلى الناس استقام الحق، انظر محمد، و عبارة ذلك بلسانهم ايمنى ما مامت فمامت محمد كان حين عاش استقام الناس كلهم الذين صحبوه حتى مات ففسد الناس، كذب من يقول إن الحق يستقيم و ليس ثم رسول الله" [1].

ثم أخـــذ صالح فى وضع تشريعات لأصحابه لاتباعها من صلاة و زكاة وصوم وحدود وتحريم. فبالنسبة للصلاة فلقد ضاعف لهم عدد الصلوات فجعلها خمس صلوات بالنهار وخمس صلوات بالليل[2] وذلك بعد الوضوء بطريقة معينة تتمثل فى غسل السرة والخاصرتين ثم الاستنجاء والمضمضة وغسل الوجه ومسح العنق والقفاء وغسل الـــذراعين من المنكبين و مسح الرأس ثلاث مرات و مسح الأذنين ثم غسل الرجلين من الركبتين[3].

ولقد جعل الصلاة دون أذان ولا إقامة، و إنما كانوا يكتفون فى معرفة أوقات الصلاة بصياح الديكة وإن لم يمنع ذلك من وجود منصب صاحب الصلاة (وهو المنصب الذى كان يشغله أبو صالح زمور بن موسى بن هشام بن واردیزن البرغواطى رسول أبى

---

(١) البكرى، المغرب، ص١٤٠.

(٢) البكرى، المصدر السابق، ص١٣٨؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٣٠؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٦؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٠٢.

(٣) انظر كذلك البكرى، المغرب، ص١٣٩؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٨٢؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٠٢.

منصور عيسى بن أبى الأنصار عبد الله بن أبى غفير إلى الحكم المستنصر[١] عام ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م) [٢]. و أما عن طريقة الصلاة فلقد جعلها لهم فى بعض الأحيان إيماء بلا سجود، و بعضها على كيفية صلاة المسلمين ولكنهم كانوا يسجدون ثلاث سجدات متصلة[٣] وفى آخر ركعة يسجدون خمس سجدات[٤] وفى أحيان أخرى جعلهم يسجدون ثلاث سجدات متصلة رافعين جباههم وأيديهم عن الأرض نحو شبر ونصف قائلين " أبسمن ياكش" أى بسم الله ، "مقر ياكوش" أى الله أكبر وعند التشهد يضعون أيديهم مبسوطة فى الأرض ثم يتلون نصف قرآنهم فى وقوفهم و نصفه فى ركوعهم وعند التسليم يقولون " الله فوقنا لم يغب عنه شيء فى الأرض ولا فى السماء" بالبربرية ثم يردد فى ختام الصلاة – أى التسابيح – كلمة مقر ياكوش خمسًا وعشرين مرة ثم كلمة ردام ياكش أى لا أحد مثل الله خمسًا وعشرين مرة[٥]. وبـذلك تنتهى الصلاة.

أما الزكاة فقد أسقط صالح عنهم كل أنواع الزكاة فيما عدا زكاة العشر وهى العشر من جميع الحبوب والثمار[٦]، وكانوا لا يأخذون من المسلمين شيئًا[٧].

---

(٤) ولد فى مدينة قرطبة سنة٣٠٢هـ/٩١٥م تولى الخلافة بعد وفاة الخليفة الناصر فى الثانى من رمضان سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م، فأخذت البيعة له فى اليوم التالى و كان فى الثامنة والأربعين، و كان قد شدد فى إبطال الخمر فى مملكته تشديدًا مفرطًا. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٣٣؛ عبد الله عنان، دولة الإسلام فى الأندلس، ج٢، ٤٨٢؛ حمدى عبد المنعم حسين، تاريخ و حضارة المغرب و الأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٢م، ص٣١٧.

(١) البكرى، المغرب، ص١٣٤.

(٢) ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٦.

(٣) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٣١؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٠٢.

(٤) ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٦.

(٥) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٣١؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٠٢.

(٦) البكرى، المغرب، ص١٣٩.

فيما يخص الصوم فقد قام صالح باستبدال صوم شهر رمضان بصيام شهر رجب كما فرض عليهم صوم يوم من كل جمعة " و صيام يوم من كل جمعة فرض من فروضهم ويصوم الجمعة الأخرى التى تليه أبدًا" [1]، ولقد عمد صالح إلى تحريم أكل رأس أى حيوان كما حرم عليهم أكل الديوك وذبحها، و من ذبح ديكًا أو أكله أعتق رقبة، وكذلك حرم عليهم أكل البيض وأكل الأسماك إلا إذا ذبحت كما أنه جعل أكل الدجاج مكروهًا [2].

كما وضع لهم بعض الحدود كأن جعل القتل جزاء السارق بالإقرار أو بالبينة زاعمًا أنه لا يطهره من ذنبه إلا السيف[3]، والرجم للزانى والنفى للكاذب، وكانوا يسمونه المغير، أما عن الدية فقد جعلها مائة بقرة[4].

و إذا نظرنا إلى العلاقات الاجتماعية وجدنا أنه أباح لأتباعه التزوج من النساء من دون وضع حد لعدد الزوجات، حتى فى الطلاق أباح لهم الطلاق و المراجعة من دون قيد أو شرط فيما عدا أنه حرم عليهم الزواج من بنات العم[5] أو الزواج من مسلمات، كما حرم على نسائهم الزواج من رجال مسلمين[6].

---

(٧) البكرى، المصدر السابق، ص١٣٨؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٦؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٣٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٨٢؛ السلاوى، الاستقصا، ص١٠٢. و انظر أيضاً ابن حوقل الذى ذكر أنه استبدل صوم رمضان بصوم شهر شعبان. صورة الأرض، ص٨٢.

(١) البكرى، المغرب، ص١٣٩؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٧؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٠٢.

(٢) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٣١؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٠٢.

(٣) البكرى، المغرب، ص١٣٩؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٦؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٠٣.

(٤) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٣١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٨٢؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٠٣.

(٥) البكرى، المغرب، ص١٣٩.

و لقد تأثرت ديانة برغواطة ببعض التأثيرات الشيعية[1] المتمثلة فى خروج صالح إلى المشرق عام ١٢٨هـ/ ٧٤٥م و وعده لابنه إلياس بعودته فى دولة السابع من ملوكهم[2]، زاعمًا بذلك أنه المهدى الذى يظهر فى آخر الزمان لقتال الدجال و أنه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا، و تكلم فى ذلك بكلام كثير نسبه لموسى عليه السلام[3] وسطيح الكاهن[4]، وقال إن عيسى عليه السلام سيكون من رجاله و أنه سيصلى خلفه[5].

وعلى الرغم من أن صالح ادعى أن اسمه بالبربرية ورياورى ومعناها الذى ليس بعده نبى فإن أغلب حكام برغواطة قد جددوا النبوة بعد موت صالح[6].

يونس بن إلياس:

---

(٦) المذهب الشيعى أحد أقدم المذاهب السياسية التى ظهرت فى الدولة الإسلامية نتيجة الإعجاب بشخصية الإمام على بن أبى طالب خاصة علمه و دينه، و لقد بدأ المذهب الشيعى يظهر فى آخر عصر عثمان بن عفان رضى الله عنه. محمد أبو زهرة، المذاهب الإسلامية، ص٥١. و حينما نجح الأمويون فى إحكام القبضة على الدولة الإسلامية و اشتداد تعسفهم ضد العلويين و آل البيت و سلبهم حقوقهم أدى ذلك إلى ازدياد عدد المتشيعين لهم. انظر ألفرد بل، الفرق الإسلامية، ص١٥٢. و لمزيد من التفاصيل عن الشيعة. انظر الشهرستانى، الملل و النحل، ص١٩٥.

(١) البكرى، المغرب، ص١٣٥؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٠٤ .انظر ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٨٣ و الذى جعل خروجه إلى بلاد المشرق فى عام ١٢٨هـ/ ٧٤٥م أى بعد نحو ست سنين من حكمه. سحر سالم، برغواطة، ص٥٣.

(٢) ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٤.

(٣) سطيح الكاهن هو سطيح بن مازن بن غسان، و كان يدرج كما يدرج الثوب و لا عظم فيه إلا الجمجمة. كان من أشهر كهان العرب فى الجاهلية قام بتفسير رؤيا كسرى فارس لما بعث إليه بها كسرى عبد المسيح فأخبره بشأن النبوة و خراب فارس . ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص٥٣٠.

(٤) البكرى، المغرب، ص١٣٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٨٣.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٧٧.

ومن مدعى النبوة فى هذه الأسرة يونس حفيد صالح بن إلياس صاحب برغواطة[1]؛ إذ أخذ علم النجوم و الكهانة و الجدال فى رحلته إلى بلاد المشرق؛ حيث قام بالحج و ذلك على غير عادة دياناتهم، فكان بذلك أول و آخر برغواطى يقوم بأداء فريضة الحج[2]، و قد رافقه فى هذه الرحلة التعليمية المشرقية عباس بن ناصح[3]، وزيد بن سنان الزناتى صاحب الواصلية[4]، و برغوث بن سعيد الترارى، وجد بنى عبد

(٦) إلياس بن صالح بن طريف تولى من عام١٢٨هـ/ ٧٤٥م بعد خروج أبيه إلى المشرق، و استمر حكمه لبرغواطة نحو خمسين عامًا، كتم نحلته و لم يظهر منها شيئًا إلا لمن وثق به من خاصته، دخل فى طاعته خلق كثير من زناتة، توفى عام١٧٦/ ٧٩٢م. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٨٤. و انظر ابن عذارى و الذى جعل وفاته فى عام ١٧٣هـ. البيان، ج١، ٢٢٥.

(١) البكرى، المغرب، ص١٣٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٧٧. انظر ابن عذارى الذى جعل رحلته إلى المشرق عام ٢٠١هـ/ ٨١٦م. ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٤.

(٢) عباس بن ناصح، أبو العلاء الجزيري الثقفي الأندلسي؛ كان من أهل العلم باللغة العربية من الشعراء المجودين، وكان منجب الولادة، تولي قضاء بلد الجزيرة مع شذونة، وتولاه بعده ابنه عبد الوهاب بن عباس ثم ابنه محمد بن عبد الوهاب، وكلهم شعراء علماء أدباء ذوو شرف، ومنهم عباس بن عبد الرحمن بن عباس بن ناصح، كان فقيهًا عالمًا لغويًا حافظًا أدرك جده وأخذ عنه. وتوفي أبو العلاء عباس بن ناصح في أواخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم بعد عام مائتين وثلاثين. الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك)، الوافى بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط – تركى مصطفى، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربى، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠، ج١٦، ص٣٦٨.

(٣) الواصلية وهى المعتزلة ظهرت فى أوائل القرن الثانى، يقول الشهرستانى إن اسم المعتزلة مصدره اعتزال واصل بن عطاء لمجلس الحسن البصرى بعدما دخل رجل على البصرى سائلاً إياه: يا إمام الدين لقد ظهرت فى زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر (الخوارج) و جماعة يرجئون أصحاب الكبائر و الكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان (المرجئة). و قبل أن يجيب عليه الحسن قال واصل بن عطاء "أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا أو كافر مطلقًا بل هو فى منزلة بين المنزلتين،" ثم قام واصل واعتزل جماعة الحسن و من هنا أطلق عليهم اسم المعتزلة. الشهرستانى، الملل و النحل ص٦٠؛ محمد أبو زهرة، المذاهب الإسلامية، ص٢٠٧.

الرازق و يعرفون ببنى وكيل الصفرية، و مناد صاحب المنادية، ولكن الغريب هو ما ذكر فى النص من أن ثلاثة منهم ادعوا النبوة[١]. ولكن للأسف لم يحدد النص لنا سوى اسم يونس، ويذكر البكرى وابن عذارى أن يونس فى طريق عودته أراد أن يتجه إلى بلاد الأندلس إلا أنه عندما رأى مدى ضعف عقول هؤلاء القوم من زناتة وكثرة جهلهم خاصة بعد أن صدقت بعض تنبؤاته " وكان يخبرهم بأشياء قبل كونها مما يدل عليه التنجيم؛ فيكون كما قال، أو قريبا منه؛ فعظم عندهم" [٢]. فيذكر البكرى أن يونس كان قد شرب دواء للحفظ فلقن كل ما سمع و حفظه[٣]. فاستقر لديهم مظهرًا لنبوءته وديانته وسمى من تبعه بربطيًا ولكن تم تحريف اللفظ ليتحول إلى برغواطى[٤]. ولقد استمر يونس فى الحكم فى الفترة من (١٧٦- ١٩٥هـ/٧٩٣- ٨١٠م) سعى خلالها إلى توسيع محيط

ولكنه كان إطلاقًا معنويًا و ليس حسيًا كما يقول البغدادى و الذى يعنى الاعتزال عنده الخروج عن إجماع الأمة. البغدادى (عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادى الإسفراييني التميمى)، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥، ص٢١.

أما عن مبادئهم فهى أنه لا أحد يستحق اسم الاعتزال حقيقة حتى يجمع القول بالأصول الخمسة و هى (التوحيد- العدل- الوعد و الوعيد- المنزلة بين المنزلتين- الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر) فإذا كملت

فى الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلى. و لقد بدأت هذه الأفكار فى الدخول إلى بلاد المغرب منذ عصر الولاة . عن المعتزلة و أصولهم و تسمياتهم و فرقهم و مبادئهم انظر الشهرستانى، الملل و النحل، ص٥٤ وما بعدها. عبد الرحمن سالم، التاريخ السياسى للمعتزلة حتى نهاية القرن الثالث= =الهجرى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة؛ شارل أندريه جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، تونس. الجزائر. المغرب الأقصى من الفتح الإسلامى إلى سنة ١٨٣٠م، تعريب محمد مزالى- البشير سلامة، الطبعة الثالثة، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٥، ص٦٣؛ محمد أبو زهرة، المذاهب الإسلامية، ص٢١٠ وما بعدها.

(١) البكرى، المغرب، ص١٣٧؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ٢٢٥.

(٢) ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٥.

(٣) البكرى، المغرب، ص١٣٧.

(٤) البكرى، المغرب، ص١٣٨؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ٢٥٥.

دولته والمجاهرة بديانته؛ فأخذ فى قتل من لم يقبل اعتناق ديانته حتى أنه "أخلى ثلاث ماية مدينة، وسبعًا وثمانين مدينة حمل جميع أهلها على السيف لمخالفتهم إياه، وقتل منهم بموضع يقال له تاملوكاب " و – هو حجر نابت عال فى وسط السوق– سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين قتيلًا[١].

و قتل من صنهاجة خاصة فى واقعة واحدة ألف وغد (و الوغد عندهم هو المنفرد الوحيد الذي لا أخ له و لا ابن عم) وذلك في البربر قليل إنما أحصوا الأقل ليستدلوا على الأكثر[٢].

أبو غفير محمد بن معاذ بن اليسع:

خلف يونس فى حكم برغواطة أبو غفير محمد بن معاذ ابن اليسع[٣] (١٩٥– ٢٣٠هـ/ ٨١٠– ٨٤٤م) [٤] والذي كان له من الزوجات أربع وأربعون، وعلى الرغم من أن معظم المصادر لم تذكر لنا دور أبى غفير فى هذه الديانة وتقتصر على ذكره بأنه لما تولى أظهر ديانته و دان بديانة آبائه[٥] فإن ابن حوقل يختصه بأنه زاد و نقص وحل وعقد في هذه الديانة فيما وضعه لهم صالح بالإضافة إلى أنه كان يدعى أنه يوحى إليه و أن

---

(٥) ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٢٧٧.

(٦) البكرى، المغرب، ١٣٦.

(١) انتقل حكم برغواطة إلى نسل ابن آخر من أبناء طريف و هو اليسع و ذلك بعد أن انقطع نسل صالح بوفاة حفيده يونس.ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٤؛ سحر سالم، برغواطة، ص٣٦.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص١٨٦.

(٣) ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٤.

الملائكة تأتيه بما يأمرهم به وينهاهم عنه[1]. وكانت له فى البربر وقائع مشهورة وأيام مذكورة[2].

أبو منصور عيسى

ومن مدعى النبوة فى هذه الأسرة أيضًا سابع أمرائهم أبو منصور عيسى الذى كان فى الثانية و العشرين من عمره عندما تولى أمر برغواطة عام ٤٤١هـ/١٠٤٩م، بعد وفاة أبيه أبو الأنصار عبد الله[3] فعلا شأنه و سلطانه فى بلاد المغرب " فسار سير آبائه و

---

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨٣.

(٥) أشار إليها سعيد بن هشام المصمودى فى قوله:

قفى قبل التفرق فاخبرينا ... وقولى و اخبرى خبرًا مبينا
و هذى أمة هلكوا و ضلوا ... وغاروا لا سقوا ماء معينا
هموم برابر خسروا و ضلوا ... وخابوا لا سقوا ماء معينا
يقولون: النبى أبو غفير ... فأخزى الله أم الكاذبينا
ألم تسمع و لم تر يوم بهت* ... على آثار خيلهم رنينا
رنين الباكيات بهم ثكالى ... وعاوية و مسقطة جنينا.
ستعلم أهل تامسنا إذا ما ... أتوا يوم القيامة مقطعينا
هنالك يونس وبنو أبيه ... يوالون البوار معظمينا
إذ زر ياور طافت عليهم ... جبهتهم بأيدى المنكرينا
فليس اليوم ردتكم و لا كن ... ليالى كنتم مستيسرينا

=البكرى، المغرب، ص١٣٨؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ٢٧٧– ٢٧٨.

*بهت، واقعة مشهورة لبرغواطة فى البربر عجز الإحصاء عن عد من قتل فيها. البكرى، المغرب، ص١٣٦؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٢٤.

(١) كان سخيًا ظريفًا يفى بالعهد ويحفظ الجار ويكافئ على الهدية بأضعافها، وكان يلبس السراويل والملحفة ولا يلبس القميص و لا يعتم إلا فى الحرب، و كان يجمع جنده وحشمه فى كل عام و يظهر أنه يغزو من حوله فتهاديه القبائل وتستألفه فإذا استوعب هداياهم و ألطافهم فرق أصحابه و سكنت حركته فملك اثنين وأربعين سنة و دفن بامسلاخت. البكرى، المغرب، ص١٣٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٧٨.

ادعى النبوة و الكهانة"[1]. وكان من المفترض أن يظهر صالح بن طريف كما تقول النبوءة فى عهده فقال له: " يا بنى! أنت سابع الأمراء من أهل بيتك، وأرجو أن يأتيك صالح بن طريف" [2].

ويقول ابن خلدون إن عسكره كان يناهز الثلاثة آلاف مقاتل من برغواطة، هذا فضلًا عن نحو عشرة آلاف من غيرهم مثل جراوة وزواغة والبرانس ومجاصة ومضغرة ودمر ومطمامة وبنو وارزكيت و بنو يفرن وركامة[3].

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق،ج٦، ص٢٧٨.

(٣) البكرى، المغرب، ص١٣٧.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٧٨.

ولقد استمرت هذه الدولة وأفكارها الخارجة حتى نجح المرابطون فى القضاء عليهم؛ فعلى الرغم من المحاولات المتعددة من قبل كل من الأدارسة واليفرنيين[١] والفاطميين والأمويين للقضاء على هؤلاء الهراطقة، وعلى الرغم من مقتل عبد الله بن ياسين[٢] على يد البرغواطيين ١٠٥٩/٤٥١م.فإن خليفته أبو بكر عمر أخذ فى تعبئة جيوشه قاصدًا قتال برغواطة فاستأصلهم حتى فروا بين يديه وهو فى أثرهم يقتل و يسبى حتى أثخن فيهم، و تفرقت برغواطة فى الصحراء وأذعنوا له بالطاعة و أسلموا إسلامًا جديدًا، ولم يبق لديانتهم الخسيسة أثر[٣].

متنبئ ورفجومة:

وكان من متنبئ بلاد المغرب أيضًا المتنبئ عاصم بن جميل كبير ورفجومة وهى أحد بطون نفزاو بن لوى من البربر البرانس[٤]. يقول ابن الأثير إنه كان كاهنًا ادعى

---

(١) ومنهم تميم اليفرنى الذى كان رجلاً مصممًا فى دينه الغالب عليه الجهل. كان مولعًا بجهاد برغواطة كان يغزوهم فى السنة مرتين فيقتل و يسبى، مات سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م. ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١١٠.

(٢) وهو صنهاجى الأصل من جزولة، انتدب من قبل فقيه مدينة نفيس واجاج بن زلو اللمطى بناء على كتاب من الشيخ أبو عمران الفاسى بأن يرسل مع يحيى بن إبراهيم الكدالى أحد طلبته الموثوق بدينه وورعه و كثرة علمه و سياسته ليعلمهم القرآن و شرائع الإسلام ويفقههم فى دينهم، فوقع اختياره على عبد الله بن ياسين لما رأى فيه فقد كان من حذاق الطلبة الأذكياء النبهاء من أهل الدين و الفضل و التقى و الورع و الفقه و الأدب و السياسة مشاركًا فى العلوم، فخرج مع يحيى بن إبراهيم حتى وصل بلاد كدالة فجعل يعلمهم الدين و يبين لهم شرائع السنة و يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر فلما رأى أعراضهم قرر الرحيل إلى جزيرة فى البحر مع سبعة من نفر كدالة فلما ازداد عددهم سماهم مرابطين. ابن أبى زرع، المصدر السابق، ص١٢٣- ١٢٤.

(٣) ابن أبى زرع، نفسه، ص١٣٣.

(٤) الرقيق القيروانى (أبو القاسم إبراهيم)، تاريخ إفريقية و المغرب، تحقيق محمد زينهم، الطبعة الأولى، دار الأمين، ١٩٩٩، ص١٠٢؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٦٩؛ ابن الأثير(عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد

النبوة فبدل الدين وزاد الصلاة و أسقط ذكر النبى فى الأذان[1]. كما ذكره أيضًا صاحب مفاخر البربر وابن خلدون الذى اكتفى بذكر اسمه فقط عازفًا عن ذكر أخباره قائلًا" كذلك تنبأ منهم بعد ذلك عاصم بن جميل اليزدجومى، وله أخبار مأثورة" [2].

وربما لم يكن ليصلنا عنه شيء لولا لجوء عبد الوارث بن حبيب إليه[3] مما دفع حبيب بن عبد الرحمن إلى الخروج إليهم و كتب حبيب إلى عاصم يأمره بتسليم عمه وكل

=بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى)، الكامل فى التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩، ج٥، ص٣١٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٣١.

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣١٥؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، الطبعة الثانية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،١٩٨٢، ص٢٥١.

(٢) مجهول، مفاخر البربر، ص١٧١؛ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٢٨؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٠٩-١١٠.

(٣) كان عبد الرحمن بن حبيب قد تمكن من فرض سيطرته على بلاد المغرب و ذلك بعد فترة من الاضطرابات و الثورات التى تعرضت لها البلاد، و بعد أن استقرت له الأوضاع أخذ فى التفكير فى جعل البلاد من بعده لابنه حبيب متناسيًا فضل أخيه إلياس عليه فى فرض نفوذه على البلاد و إخضاعها لأمره؛ الأمر الذى أوغر صدر إلياس ضد أخيه الذى لم يقدر صنيعه؛ حيث تجمع المصادر على أن عبد الرحمن بن حبيب كان قد اعتاد أن يرسل أخاه إلياس إذا ثار عليه ثائر أو خارج فإذا تمكن منه و ظفر به نسب إلى ابنه حبيب.

وبالفعل قرر إلياس بمشاركة أخيه عبد الوارث و جماعة من أهل القيروان التخلص من عبد الرحمن على أن يقوم بالأمر من بعده إلياس و يرسل بالطاعة لأبى جعفر المنصور، و يبدو أن عبد الرحمن قد شعر بشيء فقرر إبعاد إلياس عنه بتوليه على تونس. فكان لابد لإلياس بالإسراع بتنفيذ مخططه فدخل هو و أخوه عبد الوارث لتوديعه، و عندما حان وقت الانصراف انكب عليه إلياس طاعنًا إياه فقتله عام ١٣٧هـ / ٧٥٥م، إلا أن ابن عبد الرحمن حبيب فر إلى تونس و اجتمع مع عمه عمران للأخذ بثأر أبيه من عمه إلياس لكن إلياس نجح فى التخلص من أخيه عمران فنفاه إلى الأندلس، كما قرر إلياس التخلص أيضًا من ابن أخيه حبيب و أخيه عبد الوارث ليلحقا بعمران فى الأندلس، إلا أن رياحًا ردتهم إلى طبرقة فكتب حبيب إلى عمه إلياس أن الرياح تعذرت عليه فكتب إلياس إلى واليه على طبرقة أن يلقى القبض عليه، لكن توافد عليه أتباعه و أنصاره و نجحوا فى فك حصاره و اتجه إلى القيروان حيث نجح فى دخولها و قتل إلياس، و لكن عمه عبد الوارث نجح فى الفرار بمن معه من عسكر إلى قبيلة ورفجومة محتميًا برئيسها عاصم بن جميل المتنبئ.

من معه إلا أن عاصم رفض هذا المطلب [1] فقرر حبيب الخروج للقائه، حيث التقى الطرفان فى معركة كان النصر فيها حليفًا لعاصم، الأمر الذى رفع من شأن عاصم خاصة بعد أن تحالف معه اثنان من زعماء الأباضية وهما عبد الملك بن أبى الجعد الورفجومى و يزيد بن سكوم الولهاصى لتنضم إليهم سائر نفزاوة لتشتد شوكته بذلك و يتجه إلى القيروان[2] بعد فرار أميرهم حبيب إلى قابس، وبالفعل نجح فى دخولها عنوة فى ذى الحجة عام ١٣٨هـ/ مايو٧٥٥م ليستبيح أهلها و يخرب مساجدها ثم يتجه بعد ذلك نحو قابس[3] للحاق بحبيب مستخلفًا على القيروان عبد الملك بن أبى الجعد ليتزل به الهزيمة للمرة الثانية و يفر حبيب من أمامه إلى جبل الأوراس[4] حيث أخواله، فزحف عاصم

=لمزيد من التفاصيل انظر الرقيق، تاريخ إفريقية ،ص٩٩؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٦٨؛ النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم)، نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق حسين نصار– مراجعة عبد العزيز الأهوانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣، ج٢٤، ص٦٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣١٤؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٠٨؛ سعد زغلول، المغرب العربى، ج١، ص٣٤١؛ حسن على حسن، تاريخ المغرب العربى– عصر الولاة، الطبعة الأولى، مكتبة الشباب، القاهرة،١٩٧٧، ص١٣٣؛ عبد العزيز الثعالبى، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامى إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع و تحقيق الدكتور أحمد بن ميلاد– محمد إدريس، تقديم و مراجعة حمادى الساحلى، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامى، بيروت– لبنان، ١٩٩٠، ص١٦٦.

(١) الرقيق، تاريخ إفريقية، ص١٠٢؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٧٠؛ النويرى، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٧١.

(٢) كان فى انقسام القيروانيين على أنفسهم أكبر الأثر فى إلحاق الهزيمة بهم، فبمجرد أن اقترب البربر من القيروان حتى ظهرت دعاية من قبل جماعة من أهل القيروان الذين كانوا بمعسكر عاصم تحثهم على الانضمام إليهم و لقد وجدت الدعوة صداها فتخلى معظم أصحاب القاضى أبى كريب جميل بن كريب عنه و رجعوا إلى القيروان، و لم يتبق معه سوى ألف رجل. فانهزم أبو كريب و قتل هو و من معه. الرقيق القيروانى، تاريخ إفريقية، ص١٠٣؛ النويرى، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٧١.

(٣) الرقيق، تاريخ إفريقية، ص١٠٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣١٥؛ النويرى، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٧١؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٠٩.

(٤) جبل الأوراس وهو جبل قريب من باغاية بإفريقية، بينه و بين نقاوس ثلاث مراحل، و هو المتصل بالسوس، و يقال: إنه قطعة من جبل درن بالمغرب، و يتصل به، و يبلغ طوله حوالى اثنى عشر يومًا، و مياهه كثيرة، و عمارته متصلة، و فى

وراءه إلا أنه لم يلبث أن نجح فى إنزال الهزيمة و قتل عاصم بن جميل عام ١٤٠هـ/ ٧٥٧م[١]. وفي تلك الأثناء كانت القيروان تعانى من الذل و الهوان. " فاستحلت ورفجومة المحرمات، وسبوا النساء والصبيان، وربطوا دوابهم فى الجامع و أفسدوا فيه"[٢].

متنبئ تلمسان[٣]

و يذكر السلاوى الناصرى أنه فى عام ٢٣٧هـ/ ٨٥١م فى عصر الأمير يحيى بن محمد بن إدريس الثاني (٢٣٤- ٢٥٠هـ/ ٨٤٨- ٨٦٤م)[٤] قام رجل مؤذن من ناحية تلمسان بادعاء النبوة فاتبعه كثير من الغوغاء، و قام بتأويل القرآن، كما قام بوضع بعض الشرائع لأتباعه ومنها؛ النهى عن قص الشعر وتقليم الأظافر ونتف الإبطين والاستحداد

=أهله نخوة، و تسلط على من جاورهم من الناس. و من الجدير بالذكر أن هذا الجبل قد شهد ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد ضد الخلافة الفاطمية سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م، كذلك كانت الكاهنة فى اتخاذها من جبال الأوراس معقلًا لها. الحميرى(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم)، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، هيدلبرغ، بيروت، ١٩٨٤، ص٦٦.

(١) الرقيق، تاريخ إفريقية، ص١٠٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣١٦؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٧٠؛ النويرى، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٧١؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١١٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣١٥.

(٣) تلمسان مدينة مسورة فى سفح جبل شجرة الجوز ولها خمسة أبواب ثلاثة منها فى القبلة؛ باب الحمام و باب وهب و باب الخوجة، و فى الشرق باب العقبة، و فى الغرب باب أبى قرة و فيها للأول آثار قديمة وكان الأول قد جلبوا إليها ماء من عيون تسمى لوريط بينها وبين المدينة ستة أميال وتعد مدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومساجد و مسجد جامع و أشجار و أنهار عليها الطواحين و هو نهر سطفسيف و هى دار مملكة زناتة . البكرى، المغرب، ص٧٦.

(٤) هو الإمام الخامس، سار بغير سيرة أسلافه، امتاز عهده بانتهاج طريق العدل و الفضل و الدين و إقامة الحق، إلى جانب الحزم فى إدارة البلاد و حماية الثغور. ازداد تحضر فاس، و كثرة عمارتها، و بناء ضواحٍ جديدة فقصدها الناس من الأندلس و إفريقية و جميع بلاد المغرب، فضاقت بسكانها. فبنى الناس الأرباض بخارجها؛ و من أشهر المبانى التى أقيمت فى فاس فى عهد الأمير يحيى بناء جامع القرويين عام ٢٤٥هـ/ ٨٦٠م. ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٥٣، ٥٤، ٧٧؛ سعد زغلول، المغرب العربى، ج٢، ص٤٦٤.

و التزين معللاً ذلك بقوله " لا تغيير لخلق الله" فما كان من الأمير يحيى بن محمد إلا أن أمر أمير تلمسان بالقبض عليه، لكن هذا المدعى نجح فى الفرار إلى بلاد الأندلس عن طريق مرسى هنين[1].

و لقد نجح هذا المدعى فى نشر دعوته فى بلاد الأندلس أيضًا، و ذلك فى عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم[2] . فتبعه العديد من سفهاء الناس، و لقد حاول أولو الأمر فى بلاد الأندلس أن يجعلوه يستتاب فبعث إليه عبيد الله بن يحيى والى الثغر ، فأتى إليه فلما دخل عليه كان أول ما خاطبه به أن دعاه إلى اتباعه و الأخذ بما شرع، فشاور فيه أهل العلم فأشاروا بأن يستتاب ثلاثة أيام فإن تاب و إلا قتل، إلا أنه لم يتب فما كان من عبيد الله إلا أن أمر بقتله و صلبه و هو يقول أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله، ثم كتب إلى الأمير عبد الرحمن بأمره و الذى أثنى عليه فعله[3].

---

(١) مرسى هنين وهو مرسى جيد مقصود به حصن يعرف باسم حصن هنين و هو أكثر الحصون بساتين وضروب ثمر، تسكنه قبيلة تسمى كومية. البكرى، المغرب، ص٨٠.

انظر كذلك السلاوى، الاستقصا، ج١،ص١٦١.

(٢) الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦- ٢٣٨هـ /٨٢٢- ٨٥٢م) هو الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن بن معاوية، ولد بمدينة طليطلة عام١٧٦ه/ ٧٩٢م، كان عدلاً فى الرعية بخلاف أبيه، جوادًا فاضلاً له نظر فى العلوم العقلية، و هو أول من أقام رسوم الإمارة و امتنع عن التبذل للعامة، وهو أول من ضرب الدراهم بالأندلس، و بنى سور أشبيلية، و أمر بالزيادة فى جامع قرطبة. الصفدى، الوافى بالوفيات، ج١٨، ص٨٤. و لمزيد من المعلومات عن عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط ارجع إلى حمدى عبد المنعم، المغرب والأندلس، ص١٤٩ و ما بعدها.

(٣) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٩٠ انظر كذلك ابن سعيد الغرناطي الأندلسي (علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك)، المغرب فى حلى المغرب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٧، ج١، ص٢١؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٤٥؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٦١.

متنبئ غمارة:

و من أشهر من تنبأ ببلاد المغرب أبو محمد حاميم بن من الله بن حريز بن عمرو ابن جفوال بن وزروال الملقب بالمفترى، ببلد مجكسة[1] في عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢م[2] أو ٣١٣هـ/ ٩٢٥م[3]، وقد بلغت شهرته أن نسب جبل غمارة[4] إليه فعرف بجبل حاميم. و هو على مقربة من مدينة تطوان[5] من أحواز طنجة. و على حد تعبير ابن خلدون" كانت غمارة غريقة فى الجهالة و البعد عن الشرائع بسبب البداوة و الانتباذ عن مواطن الخير" [6].

و لكن للأسف لم تذكر لنا المصادر أصل هذا المدعى للنبوة أو تاريخه و عمله قبل أدعائه للنبوة، و لكن عند تحليلنا لأفراد عائلته الذين تم ذكرهم فى المصادر نجد أنه كان لديه عمة و هى تانفيت و كانت كاهنة ساحرة، كما كان لديه أخت تسمى دجو و

---

(١) البكرى، المغرب، ص١٠٠؛ ابن عذارى، البيان، ص١٩٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٨٨؛ السلاوى، الاستقصا، ص١٧٥؛ ألفرد بل، الفرق الإسلامية، ص١٨٠.

(٢) مجهول، مفاخر البربر، ص١٧١.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٩٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٨٨؛ السلاوى،الاستقصا، ج١، ص١٧٥.

(٤) مجهول، مفاخر البربر، ص١٧١؛ البكرى، المغرب، ص١٠٠.

(٥) تطوان: و هى بسفح جبل إيشقار، و هو متصل بجبل الدرقة، و يصل إلى جبل رأس الثور إلى مرسى موسى بالبحر الغربى و مدينة تطوان على أسفل وادى مجكسة، و هذا النهر يتسع هناك و تدخله المراكب اللطاف من البحر إلى أن تصل إلى تطوان، و تبلغ المسافة ما بين البحر و بينها عشرة أميال، و هى قاعدة بنى سكين بها قصبة للأول و منار و بها مياه كثيرة سائحة عليها الأرحاء، و بجوفيها جبل يعرف ببلاط الشوك. البكرى، المغرب، ص١٠٦-١٠٧. و يقال إن القوط عندما أصبحوا سادة هذه المدينة عهدوا بقيادتها لزعيمة عوراء تأتى كل أسبوع لاستلام عوائدها. و لما كانت ذات عين واحدة فقد سموا مدينتهم تيتاوين، و معناها العين الواحدة. ليون الإفريقى، وصف إفريقيا، ص٣٢٠.

(٦) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٨٨.

كانت هى الأخرى ساحرة و كاهنة من أجمل الناس و كان الناس يستغيثون بها فى كل حرب و ضيق[1].

من هنا يمكننا القول بأن هذه الأسرة كان لها باع في أعمال السحر والكهانة وبالتالى ليس من المستبعد أن يكون حاميم هو الآخر قد مارس أعمال السحر و الشعوذة ثم تطور معه الأمر إلى ادعائه النبوة، و لقد ساعدته فى ذلك كل من عمته و أخته بوضع هالة حوله ومساعدته فى تضليل الناس، و من هنا جاء تكريمه لهن بوضع اسمهن فى تلاوة الصلاة.

أما عن تفاصيل الديانة الجديدة التي شرعها لهم حاميم و التي اتبعه فيها على حد قول البكرى بشر كثير آمنوا به وأقروا بنبوته خاصة من بنى وجفوال المقيمين على نهر راس على بعد ثلاثة أميال من مدينة تطوان[2]، فلقد أخذ حاميم فى وضع شرائع ديانته الجديدة و التى إذا نظرت إليها بتواضع تتأكد أنها مستوحاة من الدين الإسلامى. فلقد شرع لهم صلاة يومية و صومًا و زكاة مع قليل من التحريف و أسقط عنهم الحج و الوضوء و الطهر من الجنابة[3] واضعًا لهم قرآنًا بلغتهم يقرأونه بعد تهليل معين يقومون بتهليله قائلين:

حلنى من الذنوب يا من يحل البصر ينظر فى الدنيا.
حلنى من الذنوب يا من أخرج موسى من البحر.
و فى رواية السلاوى وُجد بعض التحريف اللفظى
خلنى من الذنوب يا من خلى النظر ينظر فى الدنيا.

---

(١) البكرى، المغرب، ص١٠٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٢٨.

(٢) البكرى، المغرب، ص١٠٠.

(٣) البكرى، المصدر السابق، ص١٠٠؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٧٥.

أخرجنى من الذنوب يا من أخرج يونس من بطن الحوت و موسى من البحر[1]

ثم يقول فى ركوعه :

آمنت بحاميم وبأبى خلف (أبو حاميم) و آمن رأسى وعقلى وما أكنه صدرى و ما أحاط به دمى و لحمى وآمنت بتانفيت (تالية)[2]، ثم يسجد[3].

أما عن صلاتهم فقد وضع لهم صلاتين واحدة عند طلوع الشمس و الأخرى عند غروبها وتتضمن كل صلاة ثلاث ركعات[4] دون وضوء يسجدون فيها على بطون أكفهم.

أما عن فريضة الصوم فقد ذكر البكري أن حاميم المفترى فرض عليهم صوم يوم الأربعاء إلى الظهر، و شرع صوم يوم الخميس كله من كل أسبوع، وعن صوم شهر رمضان فقد فرض عليهم صوم سبع وعشرين يومًا منه فقط، ولكننا مع ذلك نجده يفرض عليهم صوم الأيام الباقية من رمضان على أن يكون الفطر في اليوم الرابع، أما عن عيد الفطر فجعله في اليوم الثانى للفطور[5]. ولكن إذا نظرنا إلى رواية صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس والسلاوى فنجد أنه ذكر أن حاميم المفترى شرع لهم صوم يومى الاثنين والخميس إلى وقت الظهر وصوم يوم الجمعة ، أما عن صوم شهر رمضان فلقد اقتصر حاميم على عشرة أيام فقط مضيفًا إليه يومين من شهر شوال، وفيما يخص كفارة من أفطر

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٩٩، السلاوى، الاستقصا، ص١٧٥.انظر كذلك البكرى، المغرب، ص١٠٠.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٨٨.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٩٩؛ السلاوى، ص١٧٥ انظر كذلك البكرى، المغرب، ص١٠٠.

(٤) مجهول، مفاخر البربر، ص١٧١؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٧٥.

(٥) البكرى، المغرب، ص١٠٠.

يوم الخميس عمدًا [1] فلقد اتفق كل من البكرى وابن عذارى على أنه جعلها خمس أثوار، و جعلها صاحب ذكر بلاد الأندلس وابن أبى زرع والاستقصا ثلاثة عروض من البقر[2]، وعن كفارة يوم الاثنين فلقد اتفق كل من ابن عذارى و صاحب ذكر بلاد الأندلس و السلاوى على أنه جعلها ثورين[3] أما عن كفارة يوم الاثنين فلم يرد لصوم يوم الاثنين ذكر فى كتاب البكرى.

وإذا تركنا الصوم و نظرنا إلى الزكاة وجدنا أنه قد جعلها العشر من كل شيء[4]، أضف إلى ذلك أنه فرض زكاة على أكل السمك فى حين حرم عليهم أكل جميع أنواع البيض وأكل رؤوس الحيوانات بتاتًا، فى حين أحل لهم أكل لحم أنثى الخنزير مبررًا لهم ذلك بقوله " إنما حرم فى قرآن محمد الذكر خاصة"[5].

وكما اختلفت المصادر على بداية هذا المدعى اختلفت أيضًا على نهايته والتى جاءت بمقتله فى أحواز مصمودة الساحل بطنجة فى عام ٣١٥هـ/ ٩٢٧م[6]، ولكن دون أن تذكر على عاتق من وقع أمر التخلص من هذا المدعى، إلا صاحب ذكر بلاد الأندلس على الرغم من أنه جعل حوادث هذا المتنبئ تنتسب لعام ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م إلا كل من ابن أبى زرع والسلاوى ذكرها فى موضعها الزمنى مع إضافة التفاصيل؛ ومن ذلك ذكره أن عبد الرحمن الناصر صاحب الأندلس عندما بلغه أنباء هذا المدعى ومن تبعه من

---

(١) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٦٧ ؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص١٩٢؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٧٥.

(٢) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٦٧؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٩٩.

(٣) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٦٧؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٩٩.

(٤) السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٧٥.

(٥) البكرى، المغرب، ص١٠٠؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٩٩؛السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٧٥.

(٦) ابن عذارى، البيان، ج١، ص١٩٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٨٨.

البربر المضللين بعث جيشًا عظيمًا التقى بحاميم بمنطقة قصر مصمودة فى معركة لم تذكر تفاصيلها و لكنها انتهت بهزيمة حاميم ومقتله وأرسلت رأسه إلى قرطبة[١] . أما عن أتباعه فقد اتجهوا إلى كل من وادى لاو ووادى راس بالقرب من تطوان[٢]. راجعين الى الإسلام[٣].

وإن كان السؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو لماذا تدخل حاكم الأندلس الناصر في القضاء على هذا المدعى؟ و أين حكام المغرب من كل هذا؟

مما لا شك فيه أن الظروف السياسية التى كانت تمر بها بلاد المغرب عمومًا و المغرب الأقصى خاصة كان لها دور كبير فى ظهور شأن هذا المدعى؛ الأمر الذى يفرض علينا النظر إلى أحوال المغرب فى هذه الفترة؛ فمن المعروف أن أحوال المغرب السياسية لم تكن مستقرة فى هذه المرحلة فمنذ أواخر القرن الثالث الهجرى أخذت قوى الفاطميين[٤]

---

(١) مجهول، الاستبصار فى عجائب الأمصار، نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨، ص٨٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٥٤؛ ألفرد بل، الفرق الإسلامية، ص١٨٥ و ما بعدها؛ مارسيه، بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامى، ص١٤٧-١٤٨؛ مجهول، مفاخر البربر، ص١٧١؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٧٥.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٢٨٨.

(٣) السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٧٥.

(٤) مؤسس الدولة الفاطمية هو أبو عبد الله الشيعى. القاضى النعمان بن محمد، رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضى، دار الثقافة، بيروت. لبنان، ١٩٧٠، ص٥٩؛ أحمد مختار العبادى، فى التاريخ العباسى والفاطمى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص٢٢٤. وقد رحل إلى بلاد المغرب قبل الغزو الفاطمى لها و ذلك ليبث تعاليم المذهب الشيعى الإسماعيلى بين البربر، ولقد وقع اختياره على قبيلة كتامة البربرية، حيث اندس فى حجيجهم، و أخذ فى طريق العودة يبهر عقولهم. القاضى النعمان، افتتاح الدعوة، ص٥٩؛ العبادى، فى التاريخ العباسى والفاطمى، ص٢٢٤؛ سعد زغلول، تاريخ المغرب العربى، ج٢، ٥٤٧

Jamil M. Abun. Nasr, A History Of The Maghrib, P. 80; Henri Terrasse, Histoire du Maroc, p 63.

فى الظهور على الساحة المغربية، بشكل أدى إلى ظهور صراعات فى منطقة المغرب الأقصى، ما بين قوى راغبة فى البقاء و أخرى راغبة فى السيطرة[1]، و بعد فترة قصيرة سوف تصبح هذه الدولة مناوئة للدولة الأموية فى الأندلس و سببًا فى سقوط دولة الأدارسة فى المغرب الأقصى، مما أدى إلى حدوث فترة من الفراغ السياسى استفاد منها حاميم المفترى[2].

=ولقد كان نجاحه هذا سببًا فى توجه المهدى إلى المغرب بدلاً من اليمن. محمد ولد دادة، مفهوم الملك فى المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع. دراسة فى التاريخ السياسى، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبنانى- المصرى، بيروت- القاهرة، ١٩٧٧، ص٥٢؛ عبد الله العروى، مجمل تاريخ المغرب. المغرب فى عصر الوحدة و السطوة، الطبعة الأولى، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء – بيروت، ١٩٩٤، ج٢، ص٦٠.

(١) إلا أنه بعد ظهور قوة الفاطميين فى منطقة المغرب بصفتها قوة فتية جديدة (٢٩٦- ٣٦٢هـ/ ٩٠٩- ٩٧٣م)، و بعد بناء عبد الله المهدى لحاضرته المهدية، كانت إرهاصات تلك السيطرة على منطقة المغرب الأقصى متمثلة فى إرسال أولى حملاته على منطقة المغرب الأقصى بقيادة مصالة بن حبوس المكناسى (عامله على تيهرت والمغرب الأوسط) سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م .ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٥٨؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٦٥. لمحاربة يحيى بن إدريس، الذى سوف يتمكن من هزيمة يحيى و إرغامه على البيعة لعبد الله المهدى. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٥٦؛ السلاوى، الاستقصا، ج١، ص١٦٦. و عين مصالة بن حبوس قبل مغادرته لمنطقة المغرب الأقصى عليها زعيمًا مكناسيًا هو موسى بن أبى العافية. ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٨٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص٢١٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٥٩. أما عن الأدارسة فلقد اتجهوا إلى منطقة تعرف باسم قلعة حجر النسر. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص٢٠٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٥٦.

(٢) انظر ليون الإفريقى و الذى جعله داعية شيعيًا فى بداية الأمر، ثار فى عام ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م نجح فى إقناع الناس بألا يدينوا بالطاعة و لا يدفعوا الضرائب باعتباره الحكام ظالمين " و لأنه هو نفسه نبي، حتى لقد استحوذ، خلال قليل من الوقت، على السلطتين الزمنية والروحية فى هذا الإقليم. و حينئذ شن حربًا ضد هؤلاء الملوك الذين كانوا منهمكين فى نفس الوقت، فى حرب مع قبيلة زناتة. فاضطروا للتفاوض مع هذا الرجل تاركين له حق التمتع بالحكم فى إقليم تامسنا فى حين يحتفظون هم بالسيادة على فاس، و تعهد كل فريق بألا يزعج الآخر و ظل يحكم مدة خمس و ثلاثين سنة. ليون الإفريقى، وصف افريقيا، ص٢٠٠.

على أن الأحوال لم تستمر على هذا النحو كثيرًا، فهناك قوى أخرى غير قوة الفاطميين وممثليهم سوف تظهر لهم متخذة أيضًا من منطقة المغرب الأقصى مسرحًا لهم ألا و هى الدولة الأموية بالأندلس، فمن الواضح أن الخليفة الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) قد أدرك مدى الضعف الذى آل إليه أمر الأدارسة فى منطقة المغرب الأقصى، فإذا أضفنا إلى ذلك رغبة الفاطميين فى بسط سيطرتهم على منطقة المغرب الأقصى لقربها من الأندلس بل والمعبر الرئيس لبلاد الأندلس لا يفصل بينهما سوى مضيق ضيق؛ لذلك رأى الخليفة أن يفرض سيطرته على مدن المغربية لامتصاص أى هجوم من قبل الفاطميين والقيام برد فعل سريع عبر الأراضى المغربية دون العبور إلى الأراضى الأندلسية[١]، فإذا أضفنا إلى ذلك مكاتبة أهل سبتة للناصر[٢]، كل هذه الأسباب دفعت عبد الرحمن الناصر[٣] إلى السيطرة و سرعة التدخل فى هذه العدوة المغربية. ولكن ما السبب وراء التدخل الأندلسى المباشر فى تلك الفترة؟

---

(١) محمد أحمد عبد المولى، القوى السنية فى المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية (٢٩٦- ٣٦١هـ / ٩٠٩- ٩٧٢م)، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥، ج٢، ص٦١٦.

(٢) جاءت سيطرة الدولة الأموية على سبتة بناءً على رغبة أهل سبتة فى الدخول فى طاعة الناصر، و بعد دخول الأمويين لسبتة ولى عليها ابن إسحاق القرشى، صاحب الجزيرة، و كان ذلك يوم الجمعة صدر ربيع الأول سنة ٣١٩هـ/ مارس ٩٣١م رافعين الخطبة باسم الخليفة الأموى. لمزيد من التفاصيل عن ملابسات فتح المدينة انظر:
ابن حيان القرطبى (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين)، المقتبس، نشر شالمنتيا وآخرين، المعهد الأسبانى العربى للثقافة بالرباط، مدريد، ١٩٧٩، ص٢٨٨-٢٨٩.

(٣) عبد الرحمن الناصر الأموى، هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، الناصر لدين الله أبو المطرف صاحب الأندلس، الملقب بأمير المؤمنين، بقى فى الإمارة خمسين سنة و قام بعده ولده الحكم، كان أبوه قد قتله أخوه المطرف فى صدر دولة أبيهما، و خلف ابنه عبد الرحمن ابن عشرين يومًا، و توفى جده عبد الله الأمير فى سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، فولى عبد الرحمن الناصر، جد فى الغزو و الفتوح، بنى مدينة الزهراء فرارًا بنفسه و جنده عن عامة قرطبة، أكرم أهل العلم و اجتهد فى تغيير القضاة. توفى فى رمضان سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م. الصفدى، الوافى بالوفيات، ج١٨، ص١٣٦.

يمكننا القول: إن السبب وراء ذلك هو ثورة عمر بن حفصون[1] التى تعرضت لها الدولة الأموية فى عهد محمد بن عبد الرحمن الأوسط* منذ عام ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م، و التى استمرت بعد وفاته سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م فى أولاده حتى سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م.

و لذلك لم تستطيع الدولة الأموية التدخل المباشر فى العدوة المغربية قبل أن تتمكن من القضاء على تلك الثورة، و بعد القضاء عليها اتجه الأمويون إلى العدوة المغربية لمنع الفاطميين من التدخل فى شؤونهم و تلقينهم درسًا بعد أن تدخل الفاطميون فى تلك الثورة عن طريق إرسال المؤن بالسفن إلى عمر بن حفصون[2]. فكان هذا التدخل هو أول تدخل مباشر للجانب الأموى فى المغرب.

---

(١) عمر بن حفصون ينتسب إلى أسرة فقيرة، تدعى انحدارها من أصل نبيل قوطى يدعى ألفونسو، أول من دخل الإسلام منها كان جعفر والد جد عمر بن حفصون فى عهد الأمير الحكم الربضى، جمع حوله عددًا كبيرًا من المولدين. اتخذ من رية (مالقة) مستقرًا له حيث استطاع فرض سيطرته على المناطق الواقعة بين مدينتى رندة غربًا ومالقة شرقًا و اتخذ من حصن بيشتر بجبل رية حاضرة له. =

ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٠٤-١٠٥- ١٠٦؛ انظر كذلك ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق إ. ليفى بروفنسال، الطبعة الثانية، بيروت- لبنان، ١٩٥٦، ج٢، ص ٣١-٣٤؛ حمدى عبد المنعم، المغرب و الأندلس، ص١٩٠.

وقد توالى على هذه الثورة أربعة من أمراء بنى أمية أخفقوا فى القضاء عليه، و هم الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨- ٢٧٣هـ / ٨٥٢- ٨٨٦م) و ولده المنذر (٢٧٣-٢٧٥هـ / ٨٨٦ -٨٨٨م) وعبد الله (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م) حتى وفاته سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م فى عهد الناصر.

ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٠٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٣- ٢٥؛ عبد المولى، القوى السنية، ج٢، ٥٩٣.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن ثورة عمر بن حفصون. انظر:

E. Lévi Provençal (E.), Histoire de L'Espagne Musulmane, p301-309.

و من المؤكد أن هذه الدعوة وجدت معارضة لها و أثارت كراهية الناس، ولقد عبر عنها أبو العباس فضل بن مفضل بن عمر المذحجى الذى أنشد بعض الأبيات لعبد الله بن محمد المكفوف الطنجى يهجو فيها حاميم المفترى[1].

و أخيرًا بقيت الإشارة إلى أن بعض المؤرخين ذكروا أن الخليفة الفاطمى المعز لدين الله الفاطمى[2] قد ادعى النبوة[3]، و فى ذلك يقول ابن الخطيب " ذهب بنفسه كل مذهب حتى زعموا أنه أمر المؤذن أن يقول: " أشهد أن لا إله إلا الله، و أشهد أن معد رسول الله. "[4]

---

(١) وقالوا افتراء إن حاميم مرسل — إليهم بدين واضح الحق باهر
فقلت: كذبتم! بـــــدد الله شملكم — فما هو إلا عاهر وابن عاهر!
فإن كـــان حامـــيـــم رسولًا، فإننـــى — بمرسل حامـــيم لأول كافر!
رووا عن عجوز ذات إفـــك بهيمـــة — تجاوز فى أسحارها كل ساحر
أحاديث إفك حاك إبليس نسجـــها — يسروهـــا والله مبدى السرائر
البكرى، المغرب، ص١٠١؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص١٩٢.

(٢) هو معد بن إسماعيل بن أبى القاسم بن عبيد الله، كنيته أبو تميم، لقبه المعز لدين الله، ولـــد بالمهديـــة ســـنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م، ولى الخلافة و هو فى الثانية و العشرين من عمره و هو أول من ملك مصر من الخلفاء الفاطميين. ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٢٢١.

(٣) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٢٨٢.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص٥٥.

ويستشهد على ذلك بقصيدة شاعره ابن هانئ الأندلسي[1] التي يقول فيها:

أمديرها من حيث دار لطالما زاحمت تحت لوائه جبـــريلا

وعلمت من مكنون سر الله ما لم يؤت فى الملكوت ميكائيلا

لو كنت آونـــة مبـــشر أمـــة نشرت لمبعثك القرون الأولى!

لو كنت نوحاً منذراً فى قومـــه ما زادهم بدعـــائه تضليـــلا

لله فيـــــك خفـــية لو أعلمت أحيا بذكرك قاتل و مقتولا[2]

وفي اعتقادي أن أعداء الدولة الفاطمية أخذوا فى محاولة تشويه هذه الدولة، ومن هذه المحاولات رميهم لهم بادعائهم الربوبية و النبوة فلم يكن معد هو أول من رُمى بهذه

---

(١) ابن هـــانئ الأندلســي(٣٢٦- ٣٦٢هـــ/ ٩٣٨- ٩٧٣م) هـــو أبـــو القاســـم محمـــد بـــن هـــانئ بـــن سعدون الأزدي الأندلسي، يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة، كان كـــالمتنبي عند أهل المشرق, ولد أبوه هانئ بقرية من قرى المهدية بإفريقية وكان شاعرًا أديبًا فانتقل إلى الأندلس؛ حيث ولد ابن هانئ بإشبيلية ونشأ بها وتعلم بها الشعر والأدب، واتصل بصاحب إشبيلية و كان له مكانة عنده. واتهمه أهلها بمذهب الفلاسفة وفي شعره نزعة إسماعيلية بارزة، فأساءوا القول في ملكهم بسببه، فأشار عليه بالغيبة. فخرج إلى البلاد المغربية، فارتحل إلى الزاب إلى جعفر ويحيى ابـــني علي فأكرماه، ونما خبره إلى المعز أبي تميم معدّ بن منصور الفاطمي فطلبه منـــهما، فلمـــا انتـــهى إليـــه وأقـــام عنـــده في المنصورية بقرب القيروان، بالغ في مدحه بغرر المدائح ونُخُب الشعر. كما امتدح أيضًا جـــوهر الصـــقلي، الـــذي فتح مصر للمعزّ، وأبا الفرج محمد بن عمر الشيباني .عاش ٣٦ أو ٤٢ سنة، وتوفي في رجب ٣٦٢ هـــ، وقيـــل إنـــه وُجد في سانية من سواني برقة مخنوقًا بتَكّة سراويله، ولما وصل خبر وفاته للمعزّ وهو بمصر تأسف عليـــه وقـــال"*بهـــذا الرجل، كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق، فلم يُقدّر علينا ذلك*" . ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان)، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، بدون تـــاريخ، ج٤، ص٤٢١-٤٢٤.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص٥٦.

التهمة، فلقد ذكر ابن عذارى أن عبد الله بن ميمون القداح[1] ادعى لنفسه النبوة[2]، كذلك ذكره لمحاولة عبد الله الشيعى إرغام كل من أبى إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بابن البرذون و ابن هذيل، و كانا من علماء القيروان الخاشعين على الشهادة بأن عبيد الله المهدى رسول الله[3] وغيرها من التهم، مما جعلني أذهب إلى أن كل هذه التهم كانت محاولات للنيل من هذه الدولة و بث الكراهية ضدهم خاصة أنهم على علم بمدى عظم هذه التهم، أما بالنسبة لشعر ابن هانئ فمن المعروف عن ابن هانئ نظم شعر المديح و لم تكن هذه الأبيات سوى مبالغة فى المدح طمعًا فى العطاء.

(٢) اختلفت الآراء حول حقيقة ميمون القداح، فكتاب السنة ينكرون انتساب الدولة الفاطمية إلى على و فاطمة، و يؤكدون نسبتها إلى ميمون القداح، و يقولون إنه كان فارسيًا مجوسيًا من الأهواز و إنه تظاهر بالإسلام و التشيع و الدعوة لآل البيت فقبض عليه وأودع سجن الكوفة فى أواخر عهد المنصور، و بعد خروجه من السجن ادعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، إليه تنسب الميمونية و كان له مذهب فى الغلو فولد له ابن يقال له عبد الله كان أخبث من أبيه فعمل أبوابًا عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الإسلام و كان عارفًا عالمًا بجميع الشرائع و السنن، و جميع علوم المذاهب كلها. وكان عبد الله يريد بهذا فى الباطن أن يجعل المخدوعين أمة له يستمد من أموالهم بالمكر و الخديعة، و أما فى الظاهر فإنه يدعو إلى الإمام من آل البيت محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. المقريزى(تقى الدين أحمد بن على)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٦٧، ج١، ص٢٣- ٢٤.

(٣) ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٨١؛ المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٥.

(٤) ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٨٣.

الخـــاتمـــة

تعد ظاهرة ادعاء النبوة من أخطر الظواهر ذات الأثر الدينى والاجتماعى والسياسى على السواء. ففى مقابل كل نبى أو رسول يوحى إليه يوجد المئات من الكذابين والدجالين و المدعين. و لكن القليل منهم من حقق امتدادًا حضاريًا أو جغرافيًا مهمًا. و على الرغم من وجود هذه الظاهرة فى العديد من البلدان فإنها فى بلاد المغرب كان لها طابع خاص اختلفت به عن غيرها من الأقطار كونها معروفة بالاهتمام بأعمال السحر و الشعوذة و الإيمان بالغيبيات؛ و لذلك كانت بيئة خصبة لظهور مثل هذه الدعوات مستغلين فترة الفراغ السياسى التى كانت تعانى منها تلك المناطق البعيدة عن سيطرة الخلافة مما كان عاملاً مؤثرًا فى ظهورهم و انتشار أفكارهم.أضف إلى ذلك أن بعض المناطق لم يكن أهلها يعرفون من الإسلام الكثير، الأمر الذى استغله هؤلاء المدعون فى تضليل عقولهم.

و نظرًا لخطورة هذا الفعل المشين من وجهة نظر المؤرخين عزفت المصادر عن ذكر هؤلاء الخارجين فى محاولة لمحو تاريخهم؛ و من مظاهر التعتيم على هؤلاء المتنبئين و المدعين أنها فى بعض الأحيان لم تذكر لنا أسماءهم و اكتفت بذكر المناطق التى ظهروا فيها دون ذكر لظروف نشأته و دعوته مقتصرة للأسف على ذكر بعض ممن انتشرت دعوتهم بشكل لا يمكن معه إخفاؤهم.

وأخيرًا يمكننا تفسير هذه الظاهرة بأنها إما أن كانت محاولة لتحقيق مكاسب سياسية و لكن بصبغة دينية يقف خلفها الطمع السياسى و كسب الولاء المطلق، أو نوعًا من الاضطراب العقلى و التهيؤات بنزول الوحى عليهم.

قائمة المصادر و المراجع

أولاً: المصادر العربية:

- القرآن الكريم.
- الحديث الشريف.
- البغدادى (عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادى الاسفرانينى التميمى) ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م:

–الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م.

- أبو الفداء(عماد الدين إسماعيل): ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م.

_ المختصر فى أخبار البشر، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية، بدون تاريخ.

- ابن أبى زرع (أبو الحسن على بن عبد الله الفاسى) منتصف القرن السابع الهجرى:

–الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م.

- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م:

–الكامل فى التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

● البكرى (أبو عبيد الله بن عبد العزيز القرطبى) ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م:

– المغرب فى ذكر إفريقية و المغرب و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ.

● الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) عاش فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى:

–الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، هيدلبرغ، بيروت، ١٩٨٤م.

● ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبى) ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م:

–صورة الأرض، الطبعة الثانية، دار صادر، ليدن، ١٩٣٨م.

● ابن حيان القرطبى (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين) ت٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م

– المقتبس، نشر شالمنتيا و آخرون، المعهد الأسبانى العربى للثقافة بالرباط، مدريد، ١٩٧٩م.

● ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد) ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م:

–أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثانى، تحقيق إ. ليفى بروفنسال، الطبعة الثانية، بيروت– لبنان، ١٩٥٦م.

–أعمال الأعلام، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادى، محمد إبراهيم الكتانى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م.

● ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون) ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م:

–العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٢ م.

–مقدمة ابن خلدون، تحقيق على عبد الواحد وافى، الطبعة الثانية، لجنة البيان العربى، ١٩٦٥.

● ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان) ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م:

– وفيات الأعيان و أنباء أبناء أهل الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ.

● الرقيق القيروانى (أبو القاسم إبراهيم) منتصف القرن الخامس الهجرى: تاريخ إفريقية و المغرب، تحقيق محمد زينهم، الطبعة الأولى، دار الأمين، ١٩٩٩م.

● ابن سعيد الغرناطى الأندلسى (على بن موسى بن محمد بن عبد الملك) ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م:

–المغرب فى حلى المغرب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٩٩٧م.

● السلاوى (أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى) ت١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م:

–الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصر– محمد الناصر، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤.

● السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر) ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م:

– تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨.

● الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن أبى القاسم عبد الكريم) ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م:

– الملل و النحل، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٤٨.

● الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤هـ/

–الوافى بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط – تركى مصطفى، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربى، بيروت– لبنان، ٢٠٠٠.

● ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشى المصرى) ت ٢٥٧هـ/ ٨٧١م

– فتوح إفريقية و الأندلس، تحقيق محمد صبيح، القاهرة، ١٩٧٤.

● ابن عبد ربه (أحمد بن محمد) ت٣٢٨ه/ ٩٣٩م.

–العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قمبيحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٨٣م.

● ابن عذارى المراكشى (أبو العباس أحمد بن محمد) كان حيا ٧١٢هـ/ ١٣١٢م:

–البيان المغرب فى أخبار الأندلس و المغرب، الجزء الأول، تحقيق و مراجعة ج. س. كولان و إ. ليفى بوفنسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ١٩٨٣.

● ابن القوطية القرطبى (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم) ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م.

– تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مراجعة عمر فاروق الطباع، الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف، بيروت– لبنان، ١٩٩٤.

● ابن كثير (عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر القرشى الدمشقى) ٧٠١ – ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢– ٧٧٤م.

–البداية و النهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركى بالتعاون مع مركز البحوث و الدراسات العربية، الطبعة الأولى، دار هجر، القاهرة، ١٩٩٨م.

● ليون الإفريقى (الحسن بن محمد الوزان الفاسى) ت ٩٣٩هـ/ ١٥٣٩م:

–وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجى– محمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامى، بيروت– لبنان، ١٩٨٣.

● المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م:

– أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٦٧.

● مجهول: الاستبصار فى عجائب الامصار، نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨م.

● مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا، مدريد، ١٩٨٣م.

● مجهول: نبذة تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، تحقيق إ. ليفى بروفنسال، الرباط، ١٩٣٤.

● النعمان (القاضى النعمان بن محمد): ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م.

–رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضى، دار الثقافة، بيروت– لبنان، ١٩٧٠م.

● النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م:

–نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق حسين نصار – مراجعة عبد العزيز الأهوانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الرابع و العشرون، القاهرة، ١٩٨٣.

● ابن هشام المعافرى (أبى محمد عبد الملك)، السيرة النبوية، المكتبة القيمة، القاهرة، بدون تاريخ.

(ثانياً) المراجع العربية الحديثة:

● أحمد مختار العبادى: فى التاريخ العباسى و الفاطمى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ.

● السيد عبد العزيز سالم:

–دراسات فى تاريخ العرب. تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ.

–تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى، الطبعة الثانية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢م.

● حسن على حسن: تاريخ المغرب العربى ــ عصر الولاة، الطبعة الأولى، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٧م.

● حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، الطبعة الخامسة، دار الرشاد، القاهرة، ٢٠٠١م.

● حمدى عبد المنعم حسين، تاريخ و حضارة المغرب و الأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،٢٠١٢م.

● رجب محمد عبد الحليم: دولة بنى صالح فى تامسنا بالمغرب الأقصى، القاهرة، ١٩٦١م.

● سحر السيد عبد العزيز سالم: من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب فى العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

● سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربى، الجزء الثانى، تاريخ دولة الأغالبة و الرستميين و بنى مدرار و الأدارسة حتى قيام الفاطميين، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩م.

● عبد الرحمن سالم: التاريخ السياسى للمعتزلة حتى نهاية القرن الثالث الهجرى، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، بدون تاريخ.

● عبد العزيز الثعالبى: تاريخ شمال أفريقيا من الفتح الإسلامى إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع و تحقيق أحمد بن ميلاد – محمد إدريس، تقديم و مراجعة حمادى الساحلى، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامى، بيروت – لبنان، ١٩٩٠م.

● عبد الله العروى: مجمل تاريخ المغرب، المغرب فى عصر الوحدة و السطوة، الجزء الثانى، الطبعة الأولى، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء ـــــ بيروت، ١٩٩٤م.

● محمد أحمد أبو زهرة: المذاهب الإسلامية، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٩٨٧م.

● محمد أحمد عبد المولى: القوى السنية فى المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية(٢٩٦- ٣٦١هـ/ ٩٠٩- ٩٧٢م)، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م.

● محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام فى الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣.

● محمد ولد دادة: مفهوم الملك فى المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع. دراسة فى التاريخ السياسى، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبنانى- المصرى، بيروت- القاهرة، ١٩٧٧م.

● محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع، الطبعة الثانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦.

● نبيلة حسن محمد، فى تاريخ الدولة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.

(ثالثاً): المراجع الأجنبية المترجمة:

● ألفرد بل: الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى من الفتح العربى حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوى، الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامى، بيروت- لبنان، ١٩٨٧م.

● جورج مارسيه: بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل ـــــ مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، بدون تاريخ.

● شارل أندريه جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية، تونس. الجزائر. المغرب الأقصى من الفتح الإسلامى إلى سنة ١٨٣٠م، تعريب محمد مزالى ـــــ البشير بن سلامة، الطبعة الثالثة، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٥م.

● ف. ويستنفلد: جدول السنين الهجرية بلياليها و شهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها و شهورها، ترجمة عبد المنعم ماجد و عبد المحسن رمضان، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.

(رابعاً): المراجع الأجنبية:

1. Abun-Nasr, Jamil M., A History OF the Maghrib, Second Edition, Cambridge University Press.

2. Gautier E.F., Le Passé de L'Afrique du nord, Paris,1987.

3. Lévi Provençal(E), Histoire de l'Espagne Musulmane – La Conquête et l'Emirat Hispano- Umaiyade(710- 912), Tome Premier, Paris, Leiden, 1950.

4. ***Terrasse (Henri), Histoire du Maroc, Librairie Poln, Paris, 1952.***